الفصل الثاني

الاتجاهات الأساسية في دراسة المراهقة

المبحث الأول: الاتجاهات البيولوجية.

المبحث الثاني: الاتجاهات النفسانية.

المبحث الثالث: الاتجاهات الاجتماعية.

المبحث الرابع: مراحل النمو للمراهق وتطور شخصيته.

المبحث الخامس: المراهق والعلاقة الاجتماعية.

المبحث الأول

الاتجاهات البيولوجية

المطلب الأول: نظرية هول.

المطلب الثاني: نظرية جزل.

المبحث الأول
الاتجاهات البيولوجية

المطلب الأول
نظرية هول

حدَّد عالم النفس الأمريكي «ستانلي هول» مرحلة المراهقة بأنها بداية البلوغ، وتنتهي عند توقف النمو الجسمي الذي يكتمل خلال الفترة الواقعة ما بين 14-20 سنة. إن هذا النهج الذي يتبعه «هول» في النظر إلى المراهقة يجعلنا نؤكد أنه يتَّجه في دراسته اتجاهاً بيولوجياً كونه يعتبر أن بداية المراهقة هو ظهور العلامات الأولى لأزمة البلوغ أي:

- الازدياد المفاجئ في أبعاد الجسم (طولاً ووزناً).

- ظهور الخصائص الجنسية الثانوية بعد استكمال الخصائص الجنسية الأولية.

فمن هذا المنطلق المحدد بعملية النمو الفيزيائي والجنسي، تصبح المراهقة مرحلة من مراحل النمو عند الكائن وبالتالي فإنها حتمية عالمية.

ويميِّز «هول» المراهقة بخصائص أبرزها:

1 - أنها مرحلة الأزمات والاضطرابات وسن العواصف.

2 - أنها مرحلة الإفراط في المثالية.

3 - أنها مرحلة الثورة على القديم والتقاليد البالية.

4 - أنها مرحلة الانفعالات الحادة والعواطف والحب والميل إلى الجنس الآخر والصداقة.

5 - أنها مرحلة الشك والنقد الذاتي والأحاسيس المفرطة.

6 - أنها مرحلة انحلال الروابط بين عوامل «الأنا»[1] المختلفة التي تشكل تماسكها.

ويجعل «هول» تقارباً بين المراهقة والهستيريا كونها مرحلة التقلبات الشخصية والارتماء في الحلول المتطرفة[2].

في الواقع لا يمكن التسليم بهذه النظرية، كونها متطرفة ونابعة عن خلفية غير سليمة خاصة أنه اعتبرها حتمية وعالمية، وذلك لاعتباره أن سببها البلوغ الجنسي وهذا شيء مُحَتَّم وعام، ولا شك أن هذه خلفية خاطئة لأن البلوغ ما هو إلا مرحلة من مراحل النمو الطبيعي عند الكائن ليس إلَّا. لذلك فهي خاصة في كائن دون آخر وفي مجتمع دون آخر.

ويمكن الرد على هذه النظرية بأنها ليست نتيجة استقراء تام بل لا تعدو أن تكون تصويراً خيالياً تفتقر إلى البراهين، وهل تصفَّح خيالات الشباب وقرأ أفكارهم حتى تكونت في مخيلته هذه الصور التي تجعل من المراهق مجنوناً قلقاً لا يلوي على شيء؟.

المطلب الثاني
نظرية جزل

وكان من أشد أتباع نظرية «هول» عالم النفس الأمريكي «جزل» الذي أكَّد على أهمية النضج البيولوجي في النمو، وأن النمو يعيد في تشكُّل الفرد تطور النوع.

---

(1) «الأنا»، مصطلح من المصطلحات التي استعملها «فرويد» سيأتي التعريف بها عند حديثنا عن الاتجاه الفرويدي، ص 63.

(2) معاليقي، عبد اللطيف، المراهقة أزمة هوية أم أزمة حضارة، م. س، ص 40-41.
- سليم، مريم، علم نفس النمو، م.س، ص 379-380.
- زهران، حامد عبد السلام، علم نفس النمو الطفولة والمراهقة، م. س، ص 325.

ويتكلم «جزل» عن سمات النضج التي هي وجهة نظر وصفية وتحليلية لمؤتلفات السلوك الخاصة بالنمو.

وهذه السمات تزداد خلال كل مرحلة من مراحل النمو، ففيما يختص بمرحلة المراهقة، يميِّز «جزل» عدداً من السمات تتمحور حول:

النظام الحركي أو النمو العضوي والاهتمامات الجنسيَّة، والصحة الجسدية التي تشتمل على التغذية والنوم والنظافة ثم الانفعالات أو الغضب والمخاوف، ثم «الأنا» النامي أو تقدير الذات والميول والمستقبل، ثم تأتي العلاقات الاجتماعية (العلاقات بالوالدين والأخوة والأخوات والأتراب من الجنس الواحد أو من الجنس الآخر)، ثم النشاطات والاهتمامات (الحفلات، القراءة، التلفزيون، الرياضة)، ويتبع ذلك الحس الأخلاقي (مفاهيم الشر والخير والعدل)، وأخيراً الحس الفلسفي (مفاهيم الزمان والمكان والموت والألوهية...).

وقد اعتبر «جزل» أن مرحلة المراهقة هي مرحلة كافية لأن تعطي نظرة كلية وشاملة عن المراهقة. وقد أشار إلى ضرورة عدم أخذ هذه الجوانب كسلالم جامدة لقياس النمو. ومع ذلك لم يتمكن من تجنب محاذير استخدام هذه الجوانب كمقاييس ثابتة أوقعت من استخدمها في أخطاء مهمة، لأنهم أهملوا الفروقات الفردية في النمو وطبيعية هذا النمو ومظاهره في المراهقة[1].

وهذه النظرية كسابقتها كونها مبنية على خلفية خاطئة جعلت من مراحل النمو الطبيعي أزمة، خاصة حال البلوغ حيث ركَّز «جزل» على أهمية النضج البيولوجي ومن ذلك الاهتمامات الجنسية.

فالرد على هذه النظرية كالرد على سابقتها في كونها لم تعتمد على أدلة وبراهين، ولا تعدو أن تكون ضرباً من الخيال والتصور الذي يعتمد على الميول الشاذة والأهواء المنحرفة والضالة.

---

(1) سليم، مريم، علم نفس النمو، م. س، ص 380-381.
- معاليقي، عبد اللطيف، المراهقة أزمة هوية أم أزمة حضارة، م. س، ص 42-44.

المبحث الثاني

الاتجاهات النفسانية

المطلب الأول: الاتجاه الفرويدي.

المطلب الثاني: موقف أنَّا فرويد.

المطلب الثالث: موقف دوتش.

المطلب الرابع: موقف أريكسون: المراهقة ومسألة الهوية الذاتية.

المطلب الخامس: موقف ماندل: المراهقة وأزمة الأجيال.

المبحث الثاني
الاتجاهات النفسانية

«تركّز هذه الاتجاهات ليس فقط على النمو الجنسي والجسمي، بل على ما يصاحب هذا النمو من تأثيرات على نمو المراهق وسلوكه، فغموض هوية المراهق وميوله المتناقضة وصراعاته النفسيَّة وقلقه الجنسي تؤلف جميعها في هذه المرحلة عوامل أساسية في انهيار توازنه كلياً واضطراب علاقاته مع ذاته ومع الآخرين، فهذا الانهيار في التوازن البيولوجي والنفسي، وظهور الوظائف الجديدة في حياة الكائن، هو مظهر من مظاهر ما يطلق عليه أزمة المراهقة: أزمة تخلق مواقف متناقضة ورفضاً وثورة، فالمراهق يرفض الخضوع لسلطة الأهل ويكف عن الثقة في الأفكار والأوامر السابقة، وهو يريد الآن أن يفعل ما يريده. إن البحث عن أسباب هذه المشكلات التي يواجهها المراهق في هذه المرحلة، والتفحص في عملياتها وديناميّاتها وإيجاد الحلول الملائمة الكفيلة بخفض مأزقيتها، هي التي تستأثر باهتمام أصحاب الاتجاهات النفسانية»[1]. ولا شك أن هذه الأزمة والمشكلة هي من وجهة نظر علماء النفس.

المطلب الأول
الاتجاه الفرويدي

إن «فرويد» في نظرته إلى المراهقة يتوقف عند البُعد التاريخي لهذه الظاهرة: فهو لا يرى أن المراهقة هي ولادة جديدة، كما يقول «هول» بل هي إعادة

(1) معاليقي، عبد اللطيف، المراهقة أزمة هوية أم أزمة حضارة، م. س، ص 48.
- سليم، مريم، علم نفس النمو، م. س، ص 381.

تنشيط لبعض العمليات التي حدثت في الطفولة، وخصوصاً في المرحلة الأوديبية[1].

ويمكن القول، بصورة عامة، أن جميع نظريات التحليل النفسي حاولت البحث عن الأسباب العميقة للتغيرات البنوية التي تحدث في شخصية المراهق وسلوكه، ولكنها تقر بصعوبة هذا البحث بسبب مواقفه المتناقضة ومشاعره التي تتصف بالثنائية»[2].

فقد نظر «فرويد» مع كثير من أتباعه إلى المراهقة:

أ - أنها ظاهرة عالمية.

ب - أنها تعيد مشكلات الطفولة، فالنضج الجنسي يؤدي في هذه المرحلة إلى مجموعة من الاضطرابات، ليس فقط في الحياة الجنسية، بل في مجالات السلوك الاجتماعي أيضاً، ففي البلوغ يعاني المراهق من انبعاث جديد للصراعات الأوديبية.

بهذا المعنى يصبح البلوغ إعادة للمرحلة الأوديبية وانخراطاً حقيقياً للكائن في مجتمع الراشدين...

وقد تكلم «فرويد» في مقالته «الحداد والاكتئاب» عن توجّه العدوانية في مرحلة المراهقة، ضد الكائن نفسه، فيسيطر عليه الحزن والكآبة ويقع ضحية العذاب

---

(1) عقدة الأوديب: إنها الجملة المنظمة من رغبات الحب والعداء التي يشعر بها الطفل تجاه والديه.

تظهر هذه العقدة في شكلها المسمى إيجابياً: رغبة في موت المنافس، وهو الشخص من نفس الجنس، ورغبة جنسية في الشخص من الجنس المقابل. أما في شكلها السلبي فتأخذ منحنى مقلوباً أي حب للوالد من نفس الجنس وحقد حسود على الوالد من الجنس المقابل. وفي الواقع يتواجد هذان الشكلان بمقادير متفاوتة في الشكل الكامل لعقدة الأوديب. (انظر: بونتاليس ولا بلانش، جان، وجان، معجم مصطلحات التحليل النفسي، ترجمة مصطفى حجازي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1405هـ-1985م، ص 356).

(2) معاليقي، عبد اللطيف، المراهقة أزمة هوية أم أزمة حضارة، م.س، ص 49.

الذي يفرضه على نفسه، فمن هنا وصف مرحلة المراهقة بأنها المرحلة التي تسيطر فيها الكآبة على المراهق دون أن يعرف سببها وحيث يشعر بأنه لا يرتبط بأحد أو بشيء. . . لذلك فإن «الأنا» تُدفع إلى البحث عن أسس جديدة لتقدير ذاته وأواليات تعيد له الاعتبار[1].

وفي المراهقة أيضاً تنسلخ «الأنا»[2] عن «الأنا الأعلى»[3] وبما أن «الأنا الأعلى» تمثل قيم المجتمع التي تتمثل، في هذه المرحلة، بارتباطاتها الحميمة مع الأهل، فإنها تصبح شيئاً محرماً ومشبوهاً (صراع «الأنا» مع «الأنا الأعلى») ونتيجة لهذا الانسلاخ بين الأنا والأنا الأعلى يزداد الخطر المتأتي من الدوافع الغريزية الكامنة في «الهو»[4] [5].

«فرويد» يُرجع كل شيء في هذه الحياة إلى الجنس فهو يعتبر أن الحياة كلها

---

(1) سليم، مريم، علم نفس النمو، م.س، ص 381-383.
- فرويد، سيجموند، ثلاث مقالات في نظرية الجنسيّة، ترجمة سامي محمود علي، دار المعارف، القاهرة، لا.ط، لا.ت، ص 61.

(2) «أنا» إنه ركن يميزه فرويد في نظريته الثانية حول الجهاز النفسي، عن الهو والأنا الأعلى. يخضع الأنا، من وجهة النظر الموقعية لمطالب الهو، ولأوامر الأنا الأعلى ولمتطلبات الواقع في آن معاً.
(انظر: بونتاليس ولابلاش، جان وجان، معجم مصطلحات التحليل النفسي، م.س، ص 97).

(3) أنا أعلى: إنه أحد أركان الشخصية كما وصفها فرويد في إطار نظريته الثانية عن الجهاز النفسي يتماثل دوره مع دور القاضي أو الرقيب تجاه الأنا. يرى فرويد في الضمير الخلقي، وملاحظة الذات، وتكوين المثل العليا بعضاً من وظائف الأنا الأعلى. (المرجع نفسه، ص 111).

(4) الهو: إنه أحد الأركان الثلاثة التي ميزها فرويد في نظريته الثانية عن الجهاز النفسي. يكون الهو قطب الشخصية النزوي، وتكون محتوياته التي تشكّل التعبير النفسي للنزوات لا واعية، وهي وراثية فطرية في جزء منها، ومكبوتة مكتسبة في الجزء الآخر. (المرجع نفسه، ص 570).

(5) معاليقي، عبد اللطيف، المراهقة أزمة هوية أم أزمة حضارة، م.س، ص 55-56.

جنس، ومنبثقة من خلال الجنس، فكل أعمال الطفل تعبير عن طاقة الجنس. الرضاعة جنس، ومص الإبهام جنس، وتحريك العضلات جنس...

فالطفل يعشق أمه بدافع الجنس، والجنس يبدأ مبكراً جداً... لا في مرحلة البلوغ أو المراهقة[1].

هذا التوجه هو وراء القول بالمراهقة - كما هي الحال الآن - حيث أصبحت تعتبر أزمة ومشكلة سببها الجنس والبلوغ، وهذا التوجّه يتعارض مع المبادئ الإسلامية والقيم الأخلاقية التي جعلت الإنسان مخلوقاً مكرماً منضبطاً بضوابط شرعية، لا كما يصوره «فرويد» بأنه يلهث وراء غريزته وشهوته من الصغر بكل أفعاله وحركاته.

إن «فرويد» يتحدث عن مجتمع متحلل عن الدين لا يُعرف فيه حلال ولا حرام، ولا يحسب فيه حساب للجنة والنار، فهو مجتمع عارٍ عن جميع القيم الدينية والأخلاقية بل لا يعترف بالدين أصلاً. فالدين اعتنى بالطفل منذ الصغر وصحح مساره وأولاه عناية فائقة، وهذَّب من سلوكه وحرره من جميع العقد، ورغَّب في كثير من الأعمال التي تجعله يقوم بدوره الريادي لكي يجتاز هذه المرحلة بسلام وأمان، بعيداً عن تلك المشاكل والهستيريا التي يلصقونها به.

المطلب الثاني
موقف أنَّا فرويد

تميزت أعمال «أنَّا فرويد» في دراسة الأواليات الدفاعية ضد نزوات «الهو» في كتابها «الأنا والأواليات الدفاعية» فهي تعتبر أن «الأنا» في مرحلة البلوغ، يستخدم جميع الوسائل الدفاعية التي يملكها لاسترجاع التوازن الذي ينهار نتيجة

(1) قطب، محمد، التطور والثبات في حياة البشرية، دار الشروق، بيروت، الطبعة الخامسة، 1403هـ-1983م، ص 47-48.

لطغيان النزوات المتأتية من «الهو» وسيطرتها على «الأنا» فمن هذه الأواليات التي تتكلم عنها:

أ - **أوالية التعفف**: أي التحرر من اللذة بمعناها العام، ورفض جميع الدوافع الغريزية ومجابهة الرغبات الطاغية بوسائل دفاعية. وقد يمتد هذا التحرر من الشحنات والرغبات إلى أن يشمل الحاجات الطبيعية العادية. فيصبح كل ما يمكنه أن يؤدي إلى لذة ما مشبوهاً يجب تجنبه: معاشرة الأتراب والنشاطات الجماعية، وحتى أحياناً الإشباعات الغذائية الضرورية...

إن أوالية التعفف هي ظاهرة مؤقتة تعود بعدها النزوات المكبوتة وتخترق فجأة السّد، فيحصل تحول كلي في سلوك المراهق، مثل العدوانية تجاه المؤسسات الاجتماعية.

ب - **أوالية العقلنة**: إذا كان التعفف هو الصدّ لنزوات «الهو» فإن هدف أوالية العقلنة هو إعطاء هذه النزوات محتوًى فكرياً أي عقلنتها وإخضاعها لحكم العقل. فيلجأ المراهق إلى المناقشات حول الأمور الحياتية والاجتماعية، ويتدخل من طريق إبداء الرأي والبراهين التي لا تقوم في أغلب الأحيان على منطق واضح.

فهذه المناقشات لا تعني أن المراهق أصبح قادراً على الإقناع، والعقلنة ليست غايتها الواقع والموضوعية، وإنما تستخدم للدفاع ضد النزوات والغرائز. فبدلاً من الهروب أمام طغيانها يحاول أن يتحول إليها ويجابهها فكرياً[1].

هذا التوجّه يتعارض مع توجه والدها «فرويد» ويتوافق مع توجهنا ونهجنا الحق، فالإنسان في صراع مستمر بين أناه المحترمة وشهوته وغريزته، فإذا أعمل عقله وتفكّر في أعماله ومصيره غلّب العقل والتعفف على الغريزة والشهوة التي

(1) معاليقي، عبد اللطيف، المراهقة أزمة حضارة أم أزمة هوية، م.س، ص 60-61.
- فرويد، أنّا، الأنا وأواليات الدفاع، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 1983م، ص 41-51.

يتصارع معها في كل مكان وزمان، فإذا انتصر على غريزته وشهوته برهن أنه إنسان عفيف متعقل، وإذا لم يستطع ضبط جماح شهوته وغريزته والانتصار عليها، فقد جعل الإسلام سبيلاً لتصريفها فيما أحلَّ الله، فيزول هذا الصراع. وبالتالي يستطيع أن يجتاز كل مراحل حياته بالعفاف والهدى والتقى والتعقل. ويُعتبر هذا التوجّه من «أنا فرويد» ردة فعل بليغة على نظرية والدها الماجن، خاصة وأن هذا الرد صدر من بيته ومن بنته الذي يُعْتَبر هو سبب في وجودها، وهذا من أبلغ الأدلة على فساد وضلال نظريته وهو يضاف إلى جملة الردود السابقة عليه.

المطلب الثالث
موقف «دوتش»

خصصت «دوتش» في كتابها «سيكولوجيا النساء» فصلاً للكلام عن المراحل التي تمر بها الفتاة لتصل إلى الأنوثة، وحاولت أن تبيِّن التطور الجنسي عندها وانعكاساته النفسية، واعتبرت أن مرحلة المراهقة عامة تتصف بالنسبة للفتاة بأنها مرحلة:

- النشاط المفرط ومواجهة العالم تدعيماً للأنا.
- الانفصال عن الأهل والأسرة بشكل متجاذب عاطفياً.
- الانتقاد العنيف، خصوصاً للأهل والابتعاد عن الأم رغبة في تأكيد الذات.
- التماهي[1] بالمثل العليا: هذه المثل قد تتجسد في معلمة أو صديقة أو أخت كبرى.
- التحالف مع صديقات من جنس واحد، وإنشاء جماعة مقفلة تقوم على

(1) التماهي: عملية نفسية يتمثل الشخص بواسطتها أحد مظاهر أو خصائص أو صفات شخص آخر. ويتحول كلياً أو جزئياً، تبعاً لنموذجه. تتكوّن الشخصية وتتمايز من خلال سلسلة من التماهيات. (انظر: بونتاليس ولابلانش، جان وجان، معجم مصطلحات التحليل النفسي، م. س، ص 198). ويُعبر عنها في الشرع بالقدوة والأسوة.

مبادئ من السرية التي غالباً ما تتركز على الاهتمام بالجنس والحمل والولادة، ويصبح كل شيء له دلالات جنسيَّة (الإيماءات، الكلمات. . .)[1].

الواقع أن هذه المرحلة ليست عامة - كما قالت «دوتش» - وإنما هي من صنع الحضارة والتقدم المدعَّى والمزعوم، فالنجاة والسلامة من هذه المرحلة يكون بتأمين المجتمع والبيئة الصالحة والصحبة الصالحة أيضاً، وكل ذلك يتوفر عندما يتحمل كل مسؤول عن أسرة، واجباته تجاه أسرته ليحافظ عليها ويُبعدها عن سُبل الانحراف والفساد.

لذلك نجد الإسلام عالج مسألة الجنس. فرغَّب في الزواج وشجَّع عليه لكي يحصن الشاب نفسه عن الوقوع في المحرمات، فالله ﷻ حكيم. حرَّم الزنى لِمَا فيه من مفاسد وأمراض واختلاط للنسل، وأحلَّ الزواج الشرعي الذي يؤدي إلى تحصين الشاب وإفراغ شهوته فيما أحلَّ الله، ولِمَا فيه من فوائد ومحافظة على النسل، وتكثير للأمة. كما جاء في الحديث عن النبيﷺ قال: (**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**)[2].

المطلب الرابع
موقف أريكسون
المراهقة ومسألة الهوية الذاتية

يعتمد «أريكسون» في تفسيره على التحليل النفسي وعلم الأناسة

---

(1) سليم، مريم، علم نفس النمو، م.س، ص 385.
- معاليقي، عبد اللطيف، المراهقة أزمة هوية أم أزمة حضارة، م. س، ص 56.

(2) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب قول النبيﷺ (من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج) ص 1005، حديث رقم 5065.
- ومسلم، شرح النووي، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، ج 9، ص 176، حديث رقم 3384.

(الأنتربولوجيا)[1] ويعالج مشكلة المراهقة من زاوية أزمة الهوية مركزاً على خطورة ما يسميه الدور وغموضه الذي يصل في هذه المرحلة، إلى حد إحساس المراهق بالعجز التام الذي تصاحبه، في أغلب الأحيان، مشاعر الحيرة والضياع.

فمسألة الهوية الذاتية هي كما يقول «أريكسون»: «هي هذه الانطباعات عن ذاتنا وأفكار الآخرين عنا». وتحقيق الهوية مرهون بشعور الكائن بالانتماء إلى مجموعته، وهو وليد النمو والتطور والتماهيات التي تحدث في الطفولة وتصل إلى قمتها في المراهقة.

إن أزمة الهوية أو التقدير الذاتي تتم في نهاية المراهقة. وبقدر ما يصبح المراهق واثقاً من هويته الذاتية، بقدر ما يميل إلى التفتيش عن تحقيقها في الصداقة والحب والخلق والقيادة. وتلعب صورة الذات الجسمية دوراً أساسياً في تشكل صورة الكائن عن ذاته. فالعامل الأساسي لتطور الوعي بالذات هو أولاً، تمثل صورة الجسم الذاتي، وثانياً التماهيات العديدة ابتداء من مرحلة الطفولة. إن التفاعلات العائلية، خصوصاً الأولية منها، تقدم للفرد الوضعيات والمواقف التي تتشكل من خلالها الذات...

ولد «أنا المثالي» أهمية مشابهة تساعد في تحقيق الذات...

فالمشكلة المركزية إذاً بحسب «أريسكون» في مرحلة المراهقة، هي الوصول إلى الشعور بالهوية الذاتية، ويرى أن هذه المرحلة تحمل خطر امتداد «الأنا» وتوسّع مجالاته...

إن الحل السليم لمشكلة الهوية الذاتية يمكن أن يتم في التماهي الإيجابي بصور راشدين أو بجماعة تُؤَمِّن لهم اكتشاف ذاتهم. فالثقافة هنا، والانخراط في منظمات الشباب، لهما تأثير في تأكيد الذات لأن الاندماج فيهما يثبت في نفوسهم الشعور بالأمن والانتماء، ويتيح لهم الفرص لإظهار أنفسهم وتوكيد ذاتهم، وتزويدهم بخبرات ومهارات جديدة. وتكون هذه المنظمات أيضاً مصدراً

(1) هي علم يهتم بدراسة أحوال الناس (الولادة - الموت - التكاثر - الكثافة السكانية).

لثقافة المراهقين، إلى جانب المصادر الأخرى، فتوجههم إلى استثمار وقت الفراغ وإبعاد الضجر، مما يردعهم عن الانكماش الذاتي الذي يؤدي إلى سلوك متصف بشدة الهيجان وتقيهم من الدوافع الجنسيّة والعدوانية من طريق إعلاء هذه الدوافع[1].

وهذا الموقف يتوافق مع التوجّه الشرعي الذي جعل البلوغ علامة على تَحَمّل المسؤولية، التي عبَّر عنها «أريكسون» بإثبات الهوية الذاتية وقد أشار إلى استثمار وقت الفراغ لكي يسلم المراهق من سلوك أي طريق يؤدي به إلى العدوانية والدوافع الجنسيَّة اللاأخلاقية، وهذا أيضاً يتوافق مع التوجّه الإسلامي الذي حضَّ على استثمار الوقت.

فقد علَّمنا الإسلام أن حياة الإنسان ما هي إلا الوقت الذي يقضيه، من ساعة الميلاد إلى ساعة الممات... ومن جهل قيمة الوقت الآن فسيأتي عليه حين يعرف فيه قدره ونفاسته وقيمة العمل فيه!؟ ولكن بعد فوات الأوان.

فيجب على المربي أن يضع البرنامج المناسب لإعداد الولد علمياً وتوجيهه خلقياً، وإرشاده إلى الخير والصلاح والحق، فالإنسان إذا لم يُشغِل نفسه بالحق شغلته بالباطل. وقد ذكر لنا القرآن ساعة احتضار الإنسان الذي أضاع وقته، واستدبر الدنيا واستقبل الآخرة، وتمنى لو مُنِح مهلة من الزمن، وأخِّر إلى أجل قريب، ليُصلح ما أفسد، ويتدارك ما ضيَّع. فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠﴾[2] فكان الرد على هذه الأمنية الفارغة قاطعاً ومانعاً: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾[3].

---

(1) سليم، مريم، علم نفس النمو، م.س، 386-387.
- معاليقي، عبد اللطيف، المراهقة أزمة هوية أم أزمة حضارة، م. س، ص 63-65.
(2) سورة المنافقون، الآيتان: 9-10.
(3) سورة المنافقون، الآية: 11.

دلَّ ذلك على أن الوقت ليس من ذهب فقط -كما يقول المثل الشائع -، بل هو أغلى من الذهب، ومن كل جوهر نفيس، إنه هو الحياة.

المطلب الخامس
موقف ماندل
المراهقة وأزمة الأجيال

«يجمع «جيرار ماندل» في كتبه العديدة وخصوصاً «أزمة الأجيال» و«الثورة ضد الأب»، بين التحليل النفسي وبين معطيات المجتمع الصناعي في نظرية يسميها: التحليل النفسي الاجتماعي. تقوم أسس هذه النظرية على فكرة مفادها أن أزمة الأجيال هي التي تحدد العلاقات الحالية بين المراهقين وبين الراشدين، فأزمة الأجيال هي نوع جديد من الصراع، كون المراهق نتيجة لانقلاب الأوضاع في المؤسسات الاجتماعية والحضارية وانهيار سلطة الأهل، وخصوصاً سلطة الأب كمثال للتماهي، يجد نفسه مجبراً على رفض صورة السلطة الأبوية كمثال له، ويرفض بالتالي كل ما يتأتى عن هذه السلطة من قيم ومعايير.

إن ثورة الشباب ضد السلطة الأبوية في مظاهرها المختلفة: سلطة الأب والمدرسة والجامعة والمؤسسات، والحركات الفوضوية التي تتصف بالعنف، والجماعات الهامشية وانهيار حضور الكبار كمثل للتماهي، دفعت المهتمين بأمور المراهقين والشباب إلى التساؤل عن الدوافع العميقة، وراء الاحتجاج من قبل الجيل الجديد، ولماذا شبيبة اليوم تتحدى أهداف الراشدين أو ترفضها، وترى أن التطلعات الاجتماعية والسياسية ليست أفكاراً قادرة على تحقيق حاجاتهم العاطفية والفكرية»[1].

---

(1) سليم، مريم، علم نفس النمو، م. س، ص 387-388.
- معاليقي، عبد اللطيف، المراهقة أزمة هوية أم أزمة حضارة، م. س، ص 66-67.

فـ «ماندل» يرى أن أزمة الأجيال سببها انقلاب الأوضاع في المؤسسة الاجتماعية والحضارية وانهيار سلطة الأهل، هذا التوجّه يتوافق مع المبادئ الإسلامية التي حمَّلت الأهل مسؤولية الرعاية والعناية وحُسن التربية للأجيال.

المبحث الثالث

الاتجاهات الاجتماعية

المطلب الأول: الوضع الأسري.

المطلب الثاني: الوضع المدرسي.

المطلب الثالث: الوضع الطبقي - الاقتصادي.

المطلب الرابع: الوضع الثقافي - الحضاري.

المبحث الثالث

الاتجاهات الاجتماعية

المطلب الأول

الوضع الأسري

الأسرة هي الخلية الأُولى للمجتمع، والمنزل هو المصنع الأول أو المزرعة الأُولى التي ينشأ فيها الطفل، والبيت مجتمع محدود بعلاقات عائلية، وبجانب ما يأخذه الطفل من رعاية وعطف وإشباع لحاجاته المتنوعة فهو بحاجة أيضاً إلى سلطة ضابطة تتمثل في الأبوين، حتى إذا وصل الطفل إلى مرحلة المراهقة كان للأسرة دورٌ مهمٌ في تكيُّفه مع أفرادها خصوصاً الأب.

فما هي الأسباب التي تجعل أزمة المراهقة في بعض الأُسَر أخف وطأة منها في أُسَرٍ أخرى؟ لا شك أن مكانة المراهق في الأسرة لها صلة بتركيب الجماعة العائلية وبنظام العلاقات القائمة بين أفرادها وبدرجة التسامح أو التزمت والقبول أو الرفض، كما أن حجم الأسرة واختلاف البيئة الاجتماعية تشكل هي أيضاً عوامل أساسية في مشكلات المراهقين.

ومن المهم أيضاً معرفة علاقة المراهق بأسرته والأبعاد السلبية لعدم ثبات العلاقة نتيجة للتفكك الأُسري، أو لعجز الآباء خاصة، عن مواجهة مشكلات أبنائهم لانعدام الرؤية الصحيحة عندهم وعدم مراعاة البيئة والعصر أو نتيجة لظروفهم وأزماتهم النفسية.

وكان التنظيم العائلي في الماضي يستند كلياً على السلطة، وبخاصة سلطة الأب التي كانت تُؤَلف سنداً وحماية واطمئناناً يجنب المراهقين الشعور بالقلق، أما اليوم فإن سلطة الأب المطلقة لم تعد مقبولة في معظم الأحيان، ما لم تكن

قائمة على القبول والاختيار الحر والعاطفة والحب، وهذا الحب جعل الآباء يتنازلون عن سلطتهم ودورهم في التربية فلم يعد بإمكانهم أن يكونوا النماذج الجيدة في عملية التماهي. فالتطور الاجتماعي أحدث انقلاباً في العائلة فهي قد ضاقت من ناحية وتمزقت من ناحية ثانية، خصوصاً في المجتمعات الصناعية ولا تنسَ أيضاً دور الأم المركزي في هذه العلاقات العائلية فإنها لا تجد الوقت الكافي - في وقتنا الحاضر - للاعتناء بمشكلات أولادها العناية الكافية بسبب تطلعها إلى العمل الاجتماعي، فربما ساعد هذا الوضع المراهق في الحصول على استقلالية مبكرة.

يُضاف إلى ذلك موقع المراهق في الأُسرة: الابن الأول أو الثاني... الولد الوحيد، والتمايز والاختلاف في بعض الأُسَر بين الذكر والأُنثى الذي يتولد منه شعور الصبي بالسيطرة على الفتاة، أضف إلى ذلك الحقوق والامتيازات التي تُمنح لواحد وتُحرم عن الآخر.

فهذه المشكلات جميعها تُشكّل عوامل من نتائجها إعاقة تطور المراهق النفسي والاجتماعي[1].

المطلب الثاني
الوضع المدرسي

إن المدرسة عامل من عوامل التأثير في حاجات المراهق النفسية لا تقل أهمية عن عامل الأسرة. فالمدرسة قد تهيئ للفرد الإمكانيات والوسائل التي تجعله

(1) معاليقي، عبد اللطيف، المراهقة أزمة هوية أم أزمة حضارة، م. س، ص 72-74.
- سليم، مريم، علم نفس النمو، م. س، ص 388-389.
- معوض، خليل ميخائيل، دراسة مقارنة في مشكلات المراهقين في المدن والريف، م. س، ص 77-78.
- زهران، حامد عبد السلام، علم نفس النمو الطفولة والمراهقة، م. س، ص 390-391، بتصرف.

يتوجه نحو الاعتماد على ذاته وتحمل المسؤوليات واحترام القوانين ومزاولة النشاطات المختلفة[1].

لذلك فالمراهق يحتاج لمحيط مدرسي يتجاوب مع قدراته الفكرية المتطورة فمن دون الخبرات التربوية الملائمة، قد تشلّ عملية التطور نحو التفكير المجرد السليم[2]. وإذا لم تكن المدرسة على هذا المستوى فإنها قد تضع العراقيل والعوائق والصدود أمام تطلعاته وطموحاته الذاتية فيشعر بالإحباط والصدّ والمرارة.

والمعلمون والأساتذة يلعبون دوراً أساسياً في مساعدة المراهقين على تخطي مشكلاتهم الذاتية والاجتماعية.

وتتداخل أيضاً عوامل الأنظمة التعليمية والبرامج وملاءمتها مع الواقع الاجتماعي. فالمدرسة التي تتمسك بأطر التعليم والتربية البالية وتعتمد الأساليب القديمة في التعليم تزيد مشكلات المراهقين بدلاً من الإسهام في حلّ صراعاتهم مع أنفسهم.

فالمدرسة يجب أن تكون المكان الصالح للإجابة عن التساؤلات والطروحات التي يطرحها المراهقون. إذ إن لهؤلاء المراهقين متطلباتهم وتطلعاتهم إزاء المواضيع التي تتعلق بحياتهم وتاريخهم ومستقبلهم.

والمعلم هو بديل عن الأب أو الأم وباعتباره ممثلاً للسلطة فهو عرضة لمشاعر الحب والتقدير والكره والعداء.

فعلى المعلم أن يُحسِن المعاملة والتصرف مع التلميذ لكي يكسب حبَّه وتقديره واحترامه فيكون قدوة صالحة له، وإذا لم يُحسِن المعلم المعاملة مع تلميذه فقد تسوء العلاقة بينهما، وقد يكره التلميذ المعلم والمدرسة، وفي هذه الحالة قد يلجأ إلى عادات سيئة قد تؤدي به إلى الانحراف.

---

(1) معاليقي، عبد اللطيف، المراهقة أزمة هوية أم أزمة حضارة، م. س، ص 74.
- سليم، مريم، علم نفس النمو، م. س، ص 389.

(2) مرهج، ريتا، أولادنا من الولادة حتى المراهقة، م. س، ص 225.

والمشكلة الأساسية التي تثير قلق المراهقين اليوم هي مشكلة النظام التعليمي. والبرامج التي لا تؤهلهم للحياة المنتجة والعمل الملائم[1].

المطلب الثالث
الوضع الطبقي الاقتصادي

إن التفسير الاجتماعي لظاهرة المراهقة يتوقف على شروط حياة كل طبقة اجتماعية تتأثر بدورها بالمستوى الاقتصادي. فمثلاً يلاحظ أن اضطرابات المراهقة تكون أكثر شيوعاً بين الطبقات المتوسطة[2].

ويعتبر كثير من علماء النفس كهُرّوكز وفليمنغ وسوليفان: أن أزمة المراهقة هي من صفات الطبقة البرجوازية والرأسمالية[3].

أما الطبقات البدائية الفقيرة فإنها لا تعاني فترة مراهقة لِمَا تتمتع به من بساطة، ولأن المراهق يشارك في الأعمال ويتحمل المسؤوليات ويتعود الاعتماد على النفس منذ البلوغ. يضاف إلى ذلك، التربية القائمة على القسر والطاعة والعقاب مما لا يعطي المراهق الفرصة للنمو السريع.

فالملاحظ أن الطبقات المتوسطة والغنية هي أكثر الطبقات تأزيماً لحياة المراهقين، بخلاف الطبقات الفقيرة حيث ينتقل أبناؤها إلى حياة الرشد انتقالاً سريعاً[4].

---

(1) سليم، مريم، علم نفس النمو، م. س، ص 390.
- معاليقي، عبد اللطيف، المراهقة أزمة هوية أم أزمة حضارة، م. س، ص 75.
- حسن، محمود، مقدمة الخدمة الاجتماعية، م. س، ص 454.

(2) معاليقي، عبد اللطيف، المرجع نفسه.
- سليم، مريم، المرجع نفسه.

(3) يعقوب، غسَّان وليلى، سيكولوجيا النمو عند المراهق، دار النهار، بيروت، لا. ط، 1990، ج 1، ص 29.

(4) معوض، خليل ميخائيل، دراسة مقارنة في مشكلات المراهقين في المدن والريف، م. س، ص 52. =

المطلب الرابع
الوضع الثقافي ـ الحضاري

قدَّم هذا التفسير علماء «الأنتربولوجيا» من خلال دراستهم المقارنة بين الشعوب البدائية والشعوب المتحضرة. فتوصَّلوا إلى استنتاجات مفادها أن ما يصيب المراهق من اضطراب في اتزان شخصيته يعقبه ازدياد في توتراته، بحيث تصبح معرضة للانفجارات الانفعالية واختلال علاقاتها الاجتماعية بأعضاء الأسرة، ترجع في أساسها إلى أسباب ثقافية حضارية[1].

ومن أبرز الأنتربولوجيين الذين اهتموا بدراسة هذا العامل: الأمريكية «مارغريت ميد» حيث قامت منذ عام 1928 بدراسة المراهقة في جزر «الساموا»[2] فتبيَّن لها أن المراهقة ليست أزمة ولا مرحلة من الاضطراب وهي تخضع لتقاليد كل مجتمع[3]. وتعتبر «ميد» أن لا وجود لأزمة المراهقة في مجتمع «الساموا» في المعنى الذي تتحدد فيه في المجتمعات المتحضرة وخصوصاً المجتمع الأمريكي[4].

وقالت بعد بحثها لإحدى القبائل البدائية: «نلاحظ أن المراهقة لم تكن تمثل فترة أزمة وانعصاب بل كانت بدلاً من ذلك ارتقاءً منتظماً لمجموعة من الاهتمامات وضروب النشاط الآخذة في النضج على مهل»[5].

أبرزت هذه الدراسات فكرة العامل الاجتماعي والثقافي والحضاري في تشكيل وإبراز ثم بلورة المراهقة على أنها ظاهرة مجتمعية ترتبط بالتطور الصناعي

= – سليم، مريم، علم نفس النمو، م. س، ص 291.
– معاليقي، عبد اللطيف، المراهقة أزمة هوية أم أزمة حضارة، م. س، ص 76.

(1) معاليقي، عبد اللطيف، المراهقة أزمة هوية أم أزمة حضارة، م. س، ص 76.
(2) الساموا: مجموعة جزر تقع ما بين نيوزيلاندا وهاواي في المحيط الهادئ.
(3) يعقوب، غسَّان وليلى، سيكولوجيا النمو عند المراهق، م. س، ج 1، ص 12.
(4) معاليقي، عبد اللطيف، المراهقة أزمة هوية أم أزمة حضارة، م. س، ص 77.
(5) سليم، مريم، علم نفس النمو، م.س، ص 374.

للمجتمع، ولا وجود لها في المجتمعات البدائية فهي ليست قضية بشرية أزلية على منوال أزمة البلوغ[1].

وهذا صحيح في الجملة، فالمراهقة أمر نسبي، فالمجتمع المتدين مثلاً لا يشعر بالمراهقة، وكذلك بعض القبائل التي تتيسر فيها سبل الزواج دون مبالغة في التكاليف.

فهي تخضع فعلاً للتقاليد والأعراف والأديان.

(1) الجراية، أنور، مقاربة اجتماعية للمراهقة، مجلة الثقافة النفسية، م. س، ص 51-52.

المبحث الرابع

مراحل النمو للمراهق وتطور شخصيته

المطلب الأول: النمو الجسدي.

المطلب الثاني: النمو العقلي:

الفرع الأول: مبادئ تطور الذكاء لدى المراهق حسب دراسة «دبس»

الفرع الثاني: تطور الذكاء بحسب دراسات «بياجيه» وتلامذته.

الفرع الثالث: الأسباب التي تعيق النمو العقلي.

المطلب الثالث: النمو الانفعالي.

المطلب الرابع: النمو الجنسي.

المطلب الخامس: التطور العاطفي والاجتماعي.

المطلب السادس: التطور الأخلاقي.

المبحث الرابع
مراحل النمو للمراهق وتطور شخصيته

المطلب الأول
النمو الجسدي

يعلّق المراهق أهمية كبيرة على جسمه النامي، وتزداد أهمية مفهوم الجسم أو الذات الجسمية وتعتبر عنصراً هاماً في مفهوم الذات حيث ينظر المراهق إلى جسمه كرمز للذات. ويلاحظ هنا شدة اهتمام المراهق بجسمه والحساسية الشديدة للنقد فيما يتعلق بالتغيرات الجسمية الملحوظة السريعة المتعددة الجوانب[1]. وفي هذه المرحلة تُطْرَح مسألة المظهر الحالي والمظهر المقبل فيتساءل المراهق «كيف أنا»؟ و «كيف سأكون»؟

إن هذه الطفرة في الطول والوزن بالإمكان أن تبدأ في مراحل عمرية مختلفة بحسب إيقاع سريع أو بطيء مستمر أو غير مستمر وقد تدوم عدة سنوات.

ولجسم المراهق وصفاته العضوية تأثير كبير حول الصورة التي يحملها عن نفسه وعن الانطباعات التي يكوِّنها الآخرون عنه إن سلباً أو إيجاباً[2].

وفي دراسة أميركية أجريت على 580 طالباً ثانوياً من كلا الجنسين (271 من الذكور مقابل 309 من الإناث) تبيَّن أن النمو الجسدي لا يخلو من انعكاسات

---

(1) زهران، حامد عبد السلام، علم نفس النمو الطفولة والمراهقة، م. س، 371.

(2) معاليقي، عبد اللطيف، المراهقة أزمة هوية أم أزمة حضارة، م. س، ص 87.
- سليم، مريم، علم نفس النمو، م.س، ص 396.

انفعالية على نفسية المراهق. تناولت الدراسة انعكاسات كل من القامة والوزن والوجه وبقية أجزاء الجسم[1].

وهذه التغيرات الجسمية شاملة لجميع أنحاء الجسم: زيادة في الطول - زيادة في الوزن - ظهور الشعر في عدة أماكن من الجسم - اتساع الكتفين عند الذكور - كبر حجم الصدر واتساع الوركين عند الإناث - زيادة في خشونة الصوت عند الفتيان - وزيادة الحدة عند الفتيات.....[2].

ويؤدي النمو الجسمي وما يصاحبه من نمو جنسي إلى الاهتمام بالجنس الآخر، ويهتم المراهق بمظهره الجسمي وصحته الجسمية وقوة عضلاته ومهاراته الحركية. ويعلم المراهق أن نموه الجسمي السوي وقوة جسمه ومهارته الحركية ومظهره الخارجي العام له أهميته في التوافق الاجتماعي وشعبيته الاجتماعية خاصة مع أعضاء الجنس الآخر. وإذا لاحظ المراهق أي انحراف في مظهره الشخصي عن المتوسط فإنه يبذل قصارى جهده لتصحيح الوضع. وإذا أخفق ينتابه الضيق والقلق. وقد يؤدي ذلك إلى الانطواء والانسحاب من النشاط الاجتماعي خشية التعرض للتعليقات أو الشعور بالنقص[3].

والواقع أن مرحلة المراهقة مرحلة نمو عادي وأن المراهق لا يتعرض لأزمة من أزمات النمو ما دام هذا النمو يسير في مجراه الطبيعي، وهذا الاتجاه تبنّاه كثير من علماء النفس ومنهم هُروّكز وفليمنغ وسوليفان...[4].

(1) يعقوب، غسّان وليلى، سيكولوجيا النمو عند المراهق، م. س، ج1، ص 68.
(2) مرهج، ريتا، أولادنا من الولادة حتى المراهقة، م. س، ص 212.
- الثويني، محمد فهد، فن التعامل مع مرحلة المراهقة: فتيان وفتيات من 12-18 سنة، دار البلاغ، جدة، الطبعة الأولى 1419هـ-1998م، ص 13.
(3) زهران، حامد عبد السلام، علم نفس النمو الطفولة والمراهقة، م.س، ص 372.
(4) المرجع نفسه، ص 326.
- يعقوب، غسّان وليلى، سيكولوجيا النمو عند المراهق، م. س، ج 1، ص 28.

المطلب الثاني
النمو العقلي

يرى كثير من علماء النفس أن التطور في النمو الجسمي عند المراهقين يصحبه نمو هائل نوعي بنفس القدر، وإن كان أقل وضوحاً في القدرات العقلية والمعرفية. ولذلك يعتبرون المراهقة فترة نمو عقلي معرفي[1].

وهناك إسهامات كثيرة في موضوع النمو العقلي لدى المراهق أهمها:

إسهامات «دبس» و «بياجيه» وتلامذته.

الفرع الأول: مبادىء تطور الذكاء لدى المراهق حسب «دبس»:

يؤكد «دبس» على ثلاث خصائص رئيسة للنمو العقلي لدى المراهق:

- تخصيص الذكاء العام وتزايد القدرات العقلية.
- الجدلية في التفكير.
- ظهور مفهوم القانون في التفكير.

1 - تخصيص الذكاء العام وتزايد القدرات العقلية:

إن كثيراً من عوامل التطور العقلي ومكوناته تكاد تكون قد اكتملت من قبل أن تبدأ مرحلة المراهقة، بحيث إن بعض المهارات الإدراكية والحركية والقابلية على التذكر لا يطرأ عليها إلا قليل من التطور بعد الطفولة المتأخرة. إن هذا يعني أن الأساس الذي يرتكز عليه التطور العقلي يكاد يكون قد تمَّ في مطلع المراهقة[2].

2 - الجدلية في التفكير:

يصبح المراهق ابتداء من الرابعة عشر أو الخامسة عشر عاماً تقريباً، أكثر تفكيراً. ويتخذ منحنى التفكير لديه طابع الجدل والمناقشة والنزاع الفكري.

---

(1) سليم، مريم، علم نفس النمو، م. س، ص 406.

(2) معاليقي، عبد اللطيف، المراهقة أزمة هوية أم أزمة حضارة، م. س، ص 116.

فالآراء التي يعبِّر عنها ويجادل فيها لا يبتغي من ورائها البرهنة على المعرفة التي لديه، بل لكي يثبت أن الحق معه وأنه هو الذي يملك الحقيقة. فهنا تتداخل كل حالات المعاندة الفكرية والرغبة في المعارضة واتخاذ المواقف المضادة لإثبات ذاته والتأكيد على شخصيته. ولكنّ هذه المظاهر العقلية لدى المراهق هي مظاهر مؤقتة تزول بعد فترة التدريب العقلي [1].

3 - اكتشاف مفهوم القانون:

إن التوصل إلى مفهوم القانون لا يحدث إلا في المرحلة المتقدمة من المراهقة، بعد نضج كل الإمكانيات العقلية، وتوصُّل التفكير إلى إدراك العالم كبناء متماسك. فيصبح القانون التعبير عن الروابط العامة والضرورية التي تربط الظاهرات وتنظمها [2].

الفرع الثاني: تطور الذكاء بحسب دراسات «بياجيه» وتلامذته:

يعتبر «بياجيه» أن البناء العقلي في مرحلة الطفولة يتميَّز بالتركيز حول الذات الأَنَوِيَّة، وفي مرحلة الرشد بالموضوعية. أما في مرحلة المراهقة فإن البنية العقلية تتميز بأنها انتقالية ما بين الأنوية والموضوعية، وهي لا تتمتع بعد بالثبات، بالرغم من وصول الذكاء إلى حدِّه الأعلى في النضج. فالخصائص المميزة للبنية العقلية للمراهق هي عدم الاستقرار العاطفي والعلائقي، وهي قائمة على الحماس والتخيل وأحلام اليقظة، أكثر مما هي قائمة على الاستقرار والمنطق والواقعية.

ويرى «بياجيه» أن المراهق ابتداء من سن الخامسة عشرة تقريباً، يكتشف أنه قادر على المزج بين الأفكار والفرضيات، ويحاول استكشاف العلاقات المتبادلة

(1) معاليقي، عبد اللطيف، المراهقة أزمة هوية أم أزمة حضارة، م. س، ص 117، 118.
- سليم، مريم، علم نفس النمو، م. س، ص 411-412.
(2) المرجع نفسه، ص 412.
- معاليقي، عبد اللطيف، المراهقة أزمة هوية أم أزمة حضارة، م. س، ص 118.

بين وجهة نظره ووجهة نظر الآخرين. فهو لم يَعُدْ مركز العالم والمرجع الوحيد بل أصبح يدرك أن كل فرد هو سيِّد تجاربه.

إن التجارب العديدة التي أجراها «بياجيه» بمعاونة بعض من تلامذته، مكَّنته من أن يستخلص بعض النتائج حول خصائص التفكير لدى المراهق، من أبرزها:

1 - أن المراهق يستطيع أن يفكِّر انطلاقاً من افتراضات مجردة.

2 - يتوصل المراهق إلى منطق القضايا التي تسمح بالتفكير الافتراضي - الاستدلالي.

3 - التمييز بين الشكل والمحتوى في العمليات العقلية.

4 - القدرة على استخدام عمليات من الدرجة الثانية أي التوصل إلى عمليات عقلية بالاستناد إلى عمليات عقلية أخرى.

5 - إمكانية المزج في العمليات الشكلية: تضمين الواقع في الفرضيات أو في الممكن. وتضمين الممكن في الواقع.

وينتهي «بياجيه» إلى اعتبار نشوء التفكير المنطقي لدى المراهق مرهوناً بنمو الجهاز العصبي وبتوافر ظروف بيئية ملائمة[1].

إن هذا الاتجاه لكل من «دبس» و «بياجيه» يؤيِّد الاتجاه الفقهي الشرعي فقد وصف كل منهما المراهق بالذكاء وحُسْن التفكير والافتراض والمعرفة والعقلنة... وهذه الصفات تتوافق مع المبادئ التي ننهجها، ونلاحظ أن هذا الاتجاه يتناقض مع اتجاه «فرويد» وأتباعه. فبينما يرى «فرويد» أن المراهقة هي مرحلة الثورة الجنسية - العاطفية، فإن «بياجيه» و «دبس» يريان أن المراهقة هي مرحلة الثورة العقلية - المعرفية. وهي قمة التوازن في النمو الذهني.

---

(1) معاليقي، عبد اللطيف، المراهقة أزمة هوية أم أزمة حضارة، م.س، ص 119-120.
- سليم، مريم، علم نفس النمو، م. س، ص 408-410.
ولمعرفة تفاصيل هذا الموضوع عند جان بياجيه، يُرجع إلى (يعقوب، غسَّان وليلى، سيكولوجيا النمو عند المراهق، الجزء الثاني، الذكاء والتفكير (سيكولوجيا بياجيه)، دار النهار، بيروت، لا. ط، 1992م).

إلا أن هناك أسباباً تعيق النمو العقلي، فما هي هذه الأسباب؟

الفرع الثالث: الأسباب التي تعيق النمو العقلي:

إن النمو العقلي يتأثر بالتعلّم. وهو متلازم مع درجة الثقافة والصلة بالحضارة، وما تتيح له من فرص للاكتساب. ولكن ظروف الحياة قد تُوجِد مواقف من شأنها أن تعيق النمو الطبيعي للذكاء، لذلك هناك أسباب عديدة تجعل الوصول إلى البناء العقلي الصحيح أمراً صعباً أو مستحيلاً. من هذه الأسباب:

1 - الحرمان الحضاري: الأفراد الذين يعيشون في بيئات محلية منعزلة عن الينابيع الحضارية الكبرى في المجتمع... لا يتيسر لهم إلا الحصول على درجات منخفضة في اختبارات الذكاء واختبارات التحصيل المدرسي.

2 - اتجاهات سلبية: إذا كان انعدام الفرصة هو السبب الوحيد للقابلية المنخفضة في النواحي الدراسية كان المحتمل إصلاح هذا النقص بصورة لا بأس بها من طريق إتاحة فرصة جديّة مضاعفة، تمرينات علاجية كافية في المدرسة.

على أن كثيراً من المراهقين يكونون ضحايا سنوات من التأثيرات السيئة والفشل في الأعمال المدرسية. لذلك تسوء عندهم الاتجاهات السلبية.

ومن المعلوم أن القدرات العقلية الجيدة لا تنمو إلا إذا توافرت الدوافع القوية والاتجاهات السليمة.

3 - الإهمال وسوء الرعاية: إن أطفال مؤسسة الرعاية، والأطفال الذين لا يجدون في بيوتهم إلا الإهمال الشديد، والذين يعيشون حياة منعزلة عن غيرهم من الأطفال والراشدين، والذين تقع عليهم العقوبات القاسية، قد يتعرضون لدرجة من الاضطراب بحيث يعجزون عن التعلّم[1].

(1) معاليقي، عبد اللطيف: المراهقة أزمة هوية أم أزمة حضارة، م.س، ص 123-124.
- سليم، مريم، علم نفس النمو، م.س، ص 412-413.

المطلب الثالث
النمو الانفعالي

يمثل النمو الانفعالي جانباً رئيساً في بناء شخصية المراهق ومحوراً رئيساً لتوافقه أو عدمه. فتغير المعالم الإدراكية للبيئة من جهة، والتغيرات النمائية الجسمية المتسارعة من جهة أخرى تترك آثاراً انفعالية كبيرة في الشدة والعمق، وما يصاحبها من استثارة للدوافع والميول والرغبات تُؤثر في شخصيته وسلوكه[1].

وتتطور مشاعر الحب حيث يتضح الميل نحو الجنس الآخر. ويميل المراهق إلى التركيز على عدد محدود من أفراد الجنس الآخر ثم على واحد فقط.

ويغمر المراهق الفرح والسرور عندما يشعر بالقبول والتوافق الاجتماعي. وتُلاحظ عليه الحساسية الانفعالية حيث لا يستطيع غالباً التحكم في المظاهر الخارجية لحالته الانفعالية. ويرجع ذلك إلى عدم تحقيق التوافق مع البيئة المحيطة به ممثلة في الأسرة والمدرسة والمجتمع، حيث يدرك المراهق أن طريقة معاملة الآخرين له لا تتناسب مع ما وصل إليه من نضج وما طرأ عليه من تغيير. فيفسر مساعدة الآخرين له على أنها تدخّل في شؤونه وتُقَلّل من شأنه، وترجع الحساسية الانفعالية أيضاً إلى عجز المراهق المالي الذي يقف دون تحقيق رغباته. وعدم الإشباع الجنسي وتوقع الكبار سلوكاً ناضجاً منه وهو لم ينضج بعد[2].

ويتعرض بعض المراهقين لحالات من الاكتئاب واليأس والقنوط والانطواء والحزن والآلام النفسية، نتيجة لما يلاقونه من إحباط وما يعانونه من صراع بين الدوافع وبين تقاليد المجتمع ومعاييره. ويزداد شعور المراهق بذاته وتلاحظ مشاعر الغضب والثورة والتمرد نحو مصادر السلطة في الأسرة والمجتمع، خاصة

---

(1) سليم، مريم، علم نفس النمو، م. س، ص 417.
(2) زهران، حامد عبد السلام، علم نفس النمو الطفولة والمراهقة، م. س، ص 383.

تلك التي تحول بين المراهق وبين تطلعه إلى التحرر والاستقلال. ومعروف أن الغضب من أهم أعراض الحساسية الانفعالية. وأهم مثيرات الغضب هنا شعور المراهق بالظلم والحرمان وإساءة استغلاله وشعوره أن الآخرين لا يفهمونه، أو قسوة الضغوط الاجتماعية عليه، أو كثرة المضايقات التي يتعرض لها[1].

وقد يعتري المراهقين الخوف نتيجة أهداف الحياة اليومية، أو نتيجة للأحلام أو نتيجة مجريات أفكارهم ومسارات تخيلاتهم، والبعض من هؤلاء المراهقين يتعرضون لحالات من الرعب والفزع، كالخوف من الحيوانات، والخوف من الحالات المؤلمة، والخوف من المخاطر، والخوف من الهزء والسخرية بهم، والخوف من الفشل، والخوف من الحروب، والخوف من المشكلات المدرسية[2]...

وتتعدد طرق التعبير عن الانفعالية الشديدة لدى المراهقين، ومن هذه الطرق العادات العصبية، والانفجارات الانفعالية، والعراك والحيل[3]...

والحقيقة أنّ هذه الأمور ليست خاصة بالمراهق، بل قد يتعرض لها الإنسان في كل مراحل حياته خاصة عندما يفاجأ بشيء، أو يُصاب بمصائب متعددة أو تزداد عليه الضغوط بأنواعها.

المطلب الرابع
النمو الجنسي

المسألة الجنسيَّة ليست هامشيّة في حياة المراهق وإنما هي من صلب اهتماماته وانشغالاته. فالجنس يلازم الوجود الإنساني، وهو أساس التوالد واستمرار النوع.

(1) المرجع السابق، ص 384.
(2) سليم، مريم، علم نفس النمو، م. س، ص 432.
(3) زهران، حامد عبد السلام، علم نفس النمو الطفولة والمراهقة، م. س، ص 385.

والإنسان كائن يحدَّد بجنسه، فنقول رجل وامرأة، وهذا التمايز هو أثبت المراهقة. من هنا تتجلى أهمية النمو الجنسي في طور المراهقة، ولا يخفَ ما لهذا النمو من انعكاسات مهمة على نفسيَّة المراهق. ويركّز علماء النفس على أهمية الجنس في حياة الكائن منذ الطفولة، إذ يعتقد «فرويد» بأن المسألة الجنسيّة هي الأساس في حدوث الاضطرابات النفسية، التي تتكوَّن منذ الطفولة[1].

ولا شك أن هذه النظرية فيها من المغالاة الشيء الكثير، «ففرويد» يتحدث عن مجتمعه الذي لا يعرف للدين قدر ولا للأخلاق قيمة، والإسلام أحاط الإنسان بمجموعة من الأسباب الوقائية فنهى عن الوحدة في المسكن، أو السفر حتى لا تنتابه مثل هذه الأحلام، وأمر بالجماعة لأنها أبعد للشيطان عنه.

وفي هذه المرحلة يزداد التعرض للمثيرات الجنسيّة. ومن المثيرات الجنسية للمراهق المحادثات الجنسيّة والصور الجنسيّة والكتابات الجنسيّة والأفلام الجنسيَّة والملامسة للجنس الآخر وأحلام اليقظة. وهذه يجب تجنبها. وقد يمر المراهق بمرحلة انتقال من الجنسية المثلية أي اختيار الصديق الحميم حيث يتبادل معه الأسرار ويساهم الاثنان في حلّ مشاكلهما، إلى الجنسيّة الغيرية أي اتجاه المراهق بشكل قوي إلى الجنس الآخر وعادة يتَّجه المراهق سريعاً بعاطفته إلى أول من يصادف من الجنس الآخر في الجيرة أو من ذوي القربى.

ويلاحظ الاتجاه إلى الجنسيَّة الغيرية، حيث تتغيّر نظرة المراهق إلى الميول الجنسيَّة فيصبح شديد الميل والاهتمام بأعضاء الجنس الآخر، والحديث عنهم والإطلاع على حياتهم الخاصة والالتقاء معهم والتحدث إليهم والتسامر معهم.

ويلون هذا كله الرغبة الجنسيَّة، ويميل الفتى للنظر إلى مفاتن المرأة والى أعضاء جسمها وتكون نظرته كلها رغبة وشهوة[2].

---

(1) يعقوب، غسَّان وليلى، سيكولوجيا النمو عند المراهق، م. س، ج 1، ص 81.

(2) زهران، حامد عبد السلام، علم نفس النمو الطفولة والمراهقة، م.س، ص 394.
- يعقوب، غسَّان وليلى، سيكولوجيا النمو عند المراهق، م. س، ج 1، ص 82-83.

والشائع، اعتبار مرحلة النضج الجنسي أنها مرحلة البلوغ التي تعني في الوقت نفسه الوصول إلى الوظيفة التناسلية؛ نتيجة نضج الأعضاء التناسلية والنمو الذي تحدث من خلاله هذه التغيرات، والنمو الجنسي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالنمو الجسمي[1].

والواقع أن النمو الجنسي والبلوغ هو مرحلة طبيعية كباقي مراحل النمو، وليست أزمة ولا مشكلة إلا إذا أراد المجتمع أن تكون كذلك.

المطلب الخامس
التطور العاطفي والاجتماعي

بالرغم من إصرار النفسانيين على أن المراهق بحاجة إلى الحرية ليختبر الحياة، لا بدَّ من التأكيد أن الإرشاد والحماية من الظروف الخطرة هو واجب حيوي على الأهل خلال هذه الفترة، فالتربية الفعَّالة في البيت تُؤَمِّن للمراهق الانتقال السلس من الارتباط الوطيد الآمن بالأهل إلى الانفصال عنهم. وكل الدراسات تشير إلى أن الجو الدافئ والمتقبل داخل الأسرة، مع الإرشاد الحكيم غير المتسلط يؤديان إلى مراهقة كفوءة ومتكيفة ومتوازنة[2].

وتتجه رغبة المراهق في توجيه الذات، وتبدو هذه الرغبة واضحة في محاولة المراهق كسر أي قيود توضع على نشاطه ومحاولاته المستمرة لتحقيق الاستقلال. وترى المراهق يتحدث كثيراً عن حقوقه ويدافع جاهداً عن مكانته ممّا يؤدي إلى سوء تفاهم بينه وبين والديه خاصة حول اختيار أوجه النشاط والرفاق والتعليم والمهنة. وينتاب المراهق الشعور بأن الآخرين لا يفهمونه أو على الأقل يسيؤون فهمه[3].

---

(1) معاليقي، عبد اللطيف، المراهقة أزمة هوية أم أزمة حضارة، م.س، ص 98.
(2) مرهج، ريتا، أولادنا من الولادة حتى المراهقة، م.س، ص 234.
(3) المرجع نفسه، ص 234.
- زهران، حامد عبد السلام، علم نفس النمو الطفولة والمراهقة، م.س، ص 410.

ويبدأ بإلقاء اللوم عليهم إن علناً أو ضمنياً أو في لحظات الغضب عند كل فشل يواجهه. وهنا يتطلب الأمر صبراً من الأهل. وقوة شخصية لا قوة زنود من الوالد ووعياً لتقريب المسافات فيما بينهم[1].

وكذلك فإن العلاقات الاجتماعية بين المراهق وإخوته وأخواته تتعدّل مع التغيّرات الحاصلة: فالإخوة المراهقون يتعاملون مع بعضهم بعضاً بمساواة أكبر من ذي قبل، وهذا أمر طبيعي إذ أنَّ الفروقات في الكفاءة والجدارة تتقلص مع العمر ومع نضوج الأخ الأصغر واكتسابه المزيد من الاستقلالية والاكتفاء الذاتي، فيصعب على الأخ الأكبر إعطاء الأوامر وفرض ديكتاتوريته على إخوته. نلاحظ أنه كلما أصبح الإخوة متساوين بالقوة والقدرة قلّت النزاعات بينهم، وخفَّت حدَّتها. نفهم ذلك بسهولة إذ إن المراهق أصبح الآن يستثمر وقته في علاقات صداقة عادية أو عاطفية بدلاً من إمضاء الوقت مع إخوته، حيث يزداد الاهتمام بمشكلات الزواج وبدء الاستعداد لترك الأسرة وبداية التفكير في إنشاء بيت وتكوين أسرة خاصة[2].

وبما أن المراهقين يمضون وقتاً أقل مع أعضاء أسرتهم، يكتسب الأصدقاء أهمية كبيرة في حياتهم. وهذه العلاقات خارج نطاق العائلة قد تكون إيجابية أو سلبية. في أفضل الحالات تساهم علاقات الصداقة في التطور النفسي وتطوير المهارات الاجتماعية، وتُقَدِّم دعماً عاطفياً لعملية النضوج[3].

ومن الملاحظ أن تَقَدّم المراهقين إلى عالم العمل يساعد على الإسراع بنضجهم، ويؤدي إلى توافقهم مع السلطة الأبوية وينمّي شعورهم بالمسؤولية والمكانة، أي أن له آثاره العامة الهامة في عملية التطبيع الاجتماعي للمراهقين.

---

(1) أسعد وسعيد، هالة وليلى، مشكلات المراهقة، المؤسسة اللبنانية العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1994م، ص 90.

(2) مرهج، ريتا، أولادنا من الولادة حتى المراهقة، م. س، ص 235.
- زهران، حامد عبد السلام، علم نفس النمو الطفولة والمراهقة، م. س، ص 412.

(3) مرهج، ريتا، أولادنا من الولادة حتى المراهقة، م. س، ص 236.

وبالإضافة إلى تأثير الأسرة في التطور العاطفي والاجتماعي، فإن لوسائل الإعلام والثقافة أيضاً أثراً كبيراً ومهماً في التنشئة الاجتماعية والعاطفية للمراهقين.

المطلب السادس
التطور الأخلاقي

في هذه المرحلة تتسع دائرة التفاعل الاجتماعي عن ذي قبل وتتنوع الخبرات وتتحدد مفاهيم الصواب والخطأ. ويستطيع المراهق تعميم المفاهيم الأخلاقية من موقف إلى موقف آخر.

ولكن يلاحظ أن المراهق يزداد تسامحه وتساهله بالنسبة لبعض محددات السلوك الأخلاقي. وقد تتعدد معايير السلوك الأخلاقي وقد تتعارض، فقد يقبل المراهق أن يصادق زميلته ويرفض رفضاً باتاً أن تصادق أخته زميلها[1].

ويؤيد هذا ما حدث مع الشاب الذي طلب من النبي ﷺ أن يسمح له بالزنى فقال له: **(أتحبه لأمك)** قال: لا والله. قال: **(ولا الناس يحبونه لأمهاتهم)**. قال: **(أفتحبه لابنتك)**، قال: لا والله يا رسول الله. قال: **(ولا الناس يحبونه لبناتهم. . .)** فوضع يده عليه وقال: **(اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه فلم يكن بعد ذلك يلتفت إلى شيء)**.

ومن الطبيعي أن تؤثر الظروف المحيطة على أي قرار أخلاقي يتخذه الإنسان، لكن مع العمر تتقلص الخيارات الأخلاقية، وتدريجياً يتميز تفكير الإنسان بالقرار الأخلاقي الناضج[2].

فقد يقوم المراهق في بعض الأحيان بسلوك ينافي الأخلاق، وهو يعرف أنه كذلك. وقد يكون ذلك من باب التجريب أو لفت الأنظار أو إجبار الآخرين على

(1) زهران، حامد عبد السلام، علم نفس النمو الطفولة والمراهقة، م.س، ص 423.
(2) مرهج، ريتا، أولادنا من الولادة حتى المراهقة، م.س، ص 233.

الاعتراف بشخصيته وكيانه، وبسبب معرفة المراهق لمعايير السلوك الأخلاقي وخروج بعض جوانب سلوكه عن هذه المعايير يشعر بالذنب والقلق أو الاكتئاب. وإذا عُوقب على سلوكه الخارج عن الأخلاق فإنه يعارض ويثور[1].

ولكن هناك مجموعة من العوامل التي تؤثر على نوعية التفكير الأخلاقي وأهمها البيئة التربوية المنزلية، فتأمين جو الحنان والانتظام في البيت ومنح الفرص لمناقشة قضايا أخلاقية يساعدان في تطوير التفهّم الأخلاقي عند الأولاد بالاتجاه الصحيح، فعلى الأهل، خلال سنوات المراهقة أن يشجعوا مثل هذه المناقشات، وأن يوفروا جواً داعماً لأولادهم من خلال الإصغاء إليهم، وطرح الأسئلة بوضوح، وتوفير نماذج للتفكير الناضج أمامهم[2]. أضف إلى ذلك استخدام الفكاهة من وقت لآخر لتوصيل بعض الرسائل ذات المضمون الحساس.

وفي نهاية مرحلة المراهقة يكاد المراهق يصل إلى النضج الأخلاقي[3].

والحقيقة أن السبب في تأخر النمو الأخلاقي هو البعد عن القيم الدينية التي هي الحل الوحيد للتحلي بالأخلاق الفاضلة منذ الصغَر. فالنمو الأخلاقي يرتبط ارتباطاً وثيقاً مع النمو الديني، فالأخلاق المستمدة من الدين هي كفيلة لتنظيم سلوك الفرد والجماعة، وهي تُنَمّي الضمير الفردي والضمير الاجتماعي، ويلاحظ أن المدنية المتغيرة تؤثر في النمو الديني والأخلاقي حيث تتغير المعايير الأخلاقية بسرعة، وحيث يعيش كثير من المراهقين بعيداً عن أسرهم ويهتم المراهق في هذه المرحلة بالسلوك الجنسي، وهذا الاهتمام يجب أن تحكمه التعاليم الدينية والمعايير الاجتماعية والقيم الأخلاقية لضبط الدافع الجنسي وتهذيبه.

---

(1) زهران، حامد عبد السلام، علم نفس النمو الطفولة والمراهقة، م. س، ص 423.
(2) مرهج، ريتا، أولادنا من الولادة حتى المراهقة، م.س، ص 234.
(3) زهران، حامد عبد السلام، علم نفس النمو الطفولة والمراهقة، م.س، ص 424.

لذلك فإن الإسلام أولى الأخلاق أهمية كبرى، وكان قائدها ورائدها محمد ﷺ الذي مدحه الله ﷻ في القرآن الكريم بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

وقد ورد في سيرته ﷺ أنه لم يكن سبَّاباً ولا لعَّاناً ولا فاحشاً ولا متفحشاً. وقال ﷺ: **(إن من أخيركم أحسَنكُم خُلُقاً)**[2].

ولما سُئِل ﷺ عن أكثر ما يُدخِل الناس الجنَّة قال: **(تقوى الله وحُسن الخلق..)**[3].

وهذه المبادئ الأخلاقية ينبغي أن تلقَّن للطفل منذ الصِّغَر لينشأ على ذلك، فيشبُّ على مكارم الأخلاق ويشيب عليها، ومَنْ شبَّ على شيء شاب عليه.

(1) سورة القلم، الآية: 4.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، ص 1167، حديث رقم 6029-6031.

(3) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، ص 334، حديث رقم 2004.

المبحث الخامس

المراهق والعلاقة الاجتماعية

المطلب الأول: علاقة المراهق بالأهل.

المطلب الثاني: علاقة المراهق بالرفاق.

المطلب الثالث: علاقة المراهق داخل المدرسة.

المطلب الرابع: موقف الأهل من المراهق.

المطلب الخامس: أزمة الهوية الذاتية عند المراهق:

الفرع الأول: تطورها.

الفرع الثاني: إثباتها وتحقيقها.

خلاصة الفصل.

المبحث الخامس

المراهق والعلاقة الاجتماعية

المطلب الأول

علاقة المراهق بالأهل

يكاد يجمع علماء النفس على أن المراهق يعيش في صراح دائم مع والديه، وأنه من حين المراهقة يتمرد على جميع أوامر الوالدين ويبدي اعتراضه في صور كثيرة تميل أغلبها إلى المكابرة والعناد.

وهو دائم النقد لأهله وذويه بأنهم متخلفون عن الركب، بعيدون عن المدنية بما فيها من تطورات[1].

ولا شك أن السبب الرئيس في انهيار النظام العلائقي في الأسرة يعود إلى المراهق نفسه كون موقفه من الأهل موقفاً غامضاً، كما في الاختيارات الأساسية التي يتخذها في هذه المرحلة. فبسبب المكانة طفل/مراهق - ليس طفلاً ولا راشداً - لا يمكن أن يكون الموقف إلا بهذه الصورة.

فالمراهق/الطفل ما زال يشعر بحاجة ماسة إلى التماهي بالأهل، بينما المراهق/ الراشد بحاجة إلى البحث عن نماذج أخرى. لذلك يشعر الأهل أن المراهق يرفضهم، والواقع أنه لا يرفض الأهل كأهل، بل يرفضهم كأهل يعملون على تثبيته على مرحلة الطفولة. فالمراهق يبدأ برفض الخضوع لسلطة الأهل.

---

(1) الزعبلاوي، محمد السيد محمد، تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الرابعة، لا.ت، ص 439.

- عبد الفتاح، كاميليا، دليل الوالدين في معاملة المراهقين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1987م، ص 10.

والأفعال التي كانت إلى مرحلة ما تعتبر طبيعية ومقبولة تصبح أفعالاً مرغوب فيها (الخروج مع الأهل في النزهات يوم العطل أو زيارات المجاملة لأصدقاء العائلة...).

فهذا يؤدي إلى تَمَزّق المراهق الذي يظهر في مواقفه المتجاذبة:

- كالرغبة في التفرد والاستقلالية يقابلها الرغبة في التواجد والتواصل.

- الرغبة في الوحدة والانكماش على الذات والرغبة في المشاركة والانفتاح على العالم.

- الرغبة في التملك والاستقلالية والرغبة في التفاني والغيرية المفرطة.

ومن الصعب استعراض جميع وجوه الصراع مع الأهل، فهي لا حصر لها، تبدأ من التعارض فيما يتعلق بمشكلات اللبس والثياب إلى المشكلات الدينية. ولكن المعاندة للأهل تظهر بوضوح في مسألة اختيار المهنة والزواج والهروب من البيت[1].

وهذا السلوك الشاذ المنحرف ناشئ عن قصور في مناهج التربية الحالية، وذلك أن مناهج التربية الحالية تُرَقِّع أصولها برفات من الفكر الشرقي أو الغربي الضحل الذي أنتج شخصية مضطربة ينتحر منها أعداد كثيرة، ولا يزال كثير من المفكرين في مجتمعنا يصرّ على ترقيع مناهجنا التربوية تحت ستار من الدعاوى الباطلة، كالمعاصرة والتجديد والحداثة وغير ذلك، كما أن الإعلام قد ساعد على نشر الثقافات الغربية الغازية بالكلمة المقروءة والمسموعة والصورة المشاهدة، فعمل على إغراء المراهقين والمراهقات على التمرد على السلطة الوالدية بما زيّنوه لهم بأن ذلك مظهر للذاتية وإثبات لوجودها الحقيقي[2].

---

(1) معاليقي، عبد اللطيف، المراهقة أزمة هوية أم أزمة حضارة، م. س، ص 158.
- سليم، مريم، علم نفس النمو، م. س، ص 437-438.

(2) الزعبلاوي، محمد السيد محمد، تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، م. س، ص 439-440.
- العك، خالد عبد الرحمٰن، تربية الأبناء والبنات في ضوء القرآن والسنة، دار المعرفة، بيروت، الطبعة السادسة، 1424هـ-2003م، ص 338.

ووجود بعض المراهقين الذين يتصفون بالهدوء والاستقرار والقيم الفاضلة يرجع أولاً إلى فضل الله تعالى ثم إلى البقية الباقية من التربية الإسلامية.

المطلب الثاني
علاقة المراهق بالرفاق

يختار المراهق مَنْ يريد من أصدقائه بنفسه، ويرفض أي تدخل من والديه في ذلك الموضوع، بعكس الطفل، الذي لا يمانع مطلقاً في أن يختار له الوالدان بعض الأصدقاء، إلا أن الحظ كثيراً ما يخطئ المراهق باختيار أصدقائه بعد الخبرة والتعامل معهم، يجد أن الكثيرين منهم غير جديرين بصداقته، وهنا ينشب التنازع بينه وبينهم فتنفصم عرى الصداقة، ويبدأ بالشعور في خيبة الأمل، ويبدأ المراهق التدقيق في اختيار أصدقائه الذين تتوفر فيهم شروط خاصة.

ويشترط في أمثال هؤلاء الأشخاص ألا يكون عليه سلطة مباشرة وتكون علاقة المراهق بهم قائمة على الود والاحترام، ومن ثمَّ يجد جوًّا طليقاً حراً يتحدث فيه عن رغباته دون تكلف ودون لف ودوران[1].

ويختار المراهقون أصدقاء لهم لأسباب مختلفة، فالبعض يختار من الأصدقاء مَن تبهجهم رفقتهم وتجعلهم حافلة بالمرح والضحك، والبعض يختار من الأصدقاء ذوي الأفكار الناضجة، والميول المتفقة مع ميولهم، والبعض الآخر يختار من الأصدقاء من يخضعون لزعامتهم ويسيرون بإرشادهم ويتخذون آراءهم وأفكارهم. وغالباً ما يميل المراهق إلى اختيار أصدقائه من نفس البيئة الاجتماعية حيث التقاليد والقيم المشتركة.

---

(1) فهمي، مصطفى، سيكولوجية الطفولة والمراهقة، مكتبة مصر، الطبعة الثانية، 1955، ص 246.

وهذه المجموعة من الرفاق تؤثر في سلوك المراهق واتجاهاته وتحدّد مستويات طموحه[1].

الرفقة إذاً لها تأثير كبير، لذلك فإن الإسلام اهتم بحُسْن اختيار الرفيق والصاحب - التقي والصالح والفاضل - لِمَا في ذلك من التأثير المتبادل بين الأصدقاء، ذلك أن أخلاق الإنسان وسلوكه قابلان للترقي والتدني من وقت لآخر.

وقد قيل: إذا أردت أن تعرف مَنْ أنا فاسأل من أصاحب.

ولذلك أرشد النبي ﷺ إلى صحبة المؤمنين والصالحين بقوله: **(لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي)**[2]. وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **(مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إمَّا أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة. ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة)**[3].

فما على المربين والآباء إلا أن يأخذوا بهذه التوجيهات النبوية والإرشادات الربانية، فيُحَذِّروا أولادهم من جلساء السوء، ويختاروا لهم الرفقة الصالحة

---

(1) سليم، مريم، علم نفس النمو، م.س، ص 440.
- مرهج، ريتا، أولادنا من الولادة حتى المراهقة، م.س، ص 224-225.
- الزعبلاوي، محمد السيد محمد، تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، م.س، ص 182.

(2) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يُجالس، ص 526، حديث رقم 4832.
- والترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في صحبة المؤمن، ص 392، حديث رقم 2395.

(3) أخرجه البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك ص 1091، حديث رقم 5534، وفي كتاب البيوع، باب العطار وبيع المسك، ص 396، حديث رقم 2101، برواية مشابهة.
- ومسلم شرح النووي، كتاب الأدب، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، ج 16، ص 394، حديث رقم 6635.

والواعية، فتسموا أخلاقهم ويظهر في المجتمع أدبهم، ويكونوا دعاة خير للأمة، ورسل إصلاح وهداية، فيصلح بصلاحهم المجتمع، وتتحقق بهم القيادة والريادة العادلة للمجتمع.

المطلب الثالث
علاقة المراهق داخل المدرسة

إذا كانت الأسرة الخلية الأولى في حياة المراهقين، فإن المدرسة تحتل المرتبة الثانية، ولكنها تختلف عن الأسرة في كونها أكثر اتساعاً وتعقيداً، لذلك فالمراهق يحتاج لمحيط مدرسي يتجاوب مع قدراته الفكرية المتطورة، فمن دون الخبرات التربوية الملائمة، قد تنشلّ عملية التطور نحو التفكير المجرد السليم، فالعملية التربوية تلعب دوراً مهماً وبارزاً في تشكيل جوانب شخصية المراهق وسلوكه، فالمناهج الدراسية، وطرق التدريس، والأساليب والتقنيات التربوية، قد تساعد على نمو شخصية المراهق أو تعيق هذا النمو.

وعلى المعلم أن يُوَفِّر مناخاً تربوياً سليماً بإتباع الأسس التالية:

الحرية، التفكير الاستقلالي، الاعتماد على النفس، إشباع الحاجات والميول والدوافع، التوافق الاجتماعي، التدريب على حلّ المشكلات، أهمية النشاط بالنسبة للمراهق، التعبير عن الذات، التَعَلّم الهادف، التغيير والتجديد، احترام الفروق بين الطلاب، مراجعة مستمرة لأهداف العملية التعليمية، التفكير في أن التربية هي إعادة بناء المجتمع[1].

ويرى الاختصاصيون في التربية والتعليم أن إدارة الصف يجب أن تتم بطريقة يلعب فيها الطالب الدور الرئيس في التعليم، بحيث يتم التعليم عن طريق النقاش

(1) سليم، مريم، علم نفس النمو، م.س، ص 441.
- مرهج، ريتا، أولادنا من الولادة حتى المراهقة، م. س، ص225.
- حسن، محمود، الأسرة ومشكلاتها، م. س، ص 418.

والاكتشاف، ومشاركة كل فرد في الصف فيشترك في التخطيط والتنظيم والتنسيق والتنفيذ والمتابعة، وأخيراً في التقويم، وإذا أسهم كل فرد في ذلك كان دافعه على العمل والمثابرة قوياً.

ويلعب المعلم في الصف دوراً مهماً فهو يؤثر في المراهقين بأقواله وأفعاله ومظهره وسائر تصرفاته التي يمتصها المراهقون بصورة واعية أو لا واعية. كما يتعلمون الكثير من أنواع السلوك بواسطة عملية التماهي[1] [2].

المطلب الرابع
موقف الأهل من المراهق

إن موقف المراهقين من الأهل والكبار، يقابله موقف الأهل منهم، فخوف الأهل من انتماءات المراهق مع العالم الخارجي ومحاولتهم السيطرة عليه، وتوجيهه وجهة تتماشى مع مطامح الأهل وتتعارض مع رغبة المراهق في الاستقلال، جميعها مواقف وأساليب لا تنجح في إيصال المراهق إلى كمال ذاته وبلوغ الاستقلالية التي ينشدها والعيش معه في هذه المرحلة بسلام، لأن المراهق يستجيب لهذه الضغوط بالرضوخ أو الرفض أو الاحتجاج. فالنتيجة تكون أن الأهل يشعرون أنهم فقدوا حبّ ولدهم وتعلقه العاطفي بهم، وأنهم فقدوا القوة التي تُمَكِّنهم من السيطرة عليه.

فهذا يدفع إلى صراع بين الأجيال، لأن المراهق المدفوع إلى الاستقلالية، يصطدم بمواقف الأهل وتعنتهم. وهذا التعنّت يدفعه إلى التأرجح في موقفه من الأهل، أي التذبذب بين مشاعر الولاء ومشاعر الانفصال. والرغبة في توكيد ذاته تؤدي إلى التهجم على الأسرة من ناحية، والتفاني بشأنها من ناحية ثانية.

---

(1) سليم، مريم، علم نفس النمو، م. س، ص 441-442.
(2) التماهي: سبق تعريفها، ص 66.

إن هذا النظام العلائقي يختلف باختلاف الأُسَر واختلاف الوضع الاجتماعي. ومن مظاهر هذه العلاقات:

أ - موقف الأهل الذين لا يتدخلون في شؤون مراهقيهم: ترك المراهق لذاته دون ضبط وتوجيه، مما يؤدي عنده إلى الشعور بالترك.

ب - موقف الأهل الذين يبالغون في الحماية: صدّ المراهق في رغباته بالاستقلال والإبقاء على علاقة طفلية تملكية، والتدخل في معرفة كل شيء وبكل الوسائل، من الحيلة إلى الضغط وحتى التهديد.

ج - موقف الأهل الذين يتصرفون بحكمة وعقلانية، ومعرفة بأن المرحلة التي يمر بها ولدهم هي مرحلة الصراعات الداخلية وثنائية المشاعر والمواقف والتناقضات، وأن المراهق في تأزم مع نفسه ومع العالم: فهو واقع تحت ضغط مشكلات لا يستطيع أن يجد لها حلولاً أو إجابات، وهو قلق يبحث عن ذاته، وهو يعارض ويثور لا حباً بالمعارضة والثورة ضد أهله والآخرين، بل لكي يحقق ذاته واستقلاليته.

إن معرفة هذه الأمور، تدفع بالأهل إلى تقبّل المراهق بشيء من الواقعية، وتقدم له المساعدة والسند[1].

فواجب الأهل أن يرشدوا أولادهم منذ الصِّغَر الإرشاد الحكيم والسليم، وأن يبعدوهم عن الأماكن والمجتمعات التي تسبب لهم الأزمات، وأن يتصرفوا معهم بحكمة وعقلانية وقناعة، فيتسامحون معهم في الأشياء التي لا تضرّ مع تسديدها وتصويبها، ويتشددون معهم تجاه كل تصرف غير مقبول، مع احترام وتقدير آراء أولادهم ومحاورتهم وإقناعهم في الأخطاء التي تصدر عنهم، وتصويبها لهم. وكل ذلك يتحقق في ظل التمسك بمبادئ هذا الدين القويم.

(1) معاليقي، عبد اللطيف، المراهقة أزمة هوية أم أزمة حضارة، م. س، ص 165-166.

المطلب الخامس
أزمة الهوية الذاتية عند المراهق

الفرع الأول: تطورها [1]:

في السنوات الأولى من الحياة لا يعي الكائن ذاته ولا يميز بين ذاته والعالم المحيط ويتماهى بالأم وبالأشخاص الذين يعتنون به.

ثم فيما بعد ونتيجة لنمو قدراته الحركية والإدراكية ونموه الجسمي والعقلي والاجتماعي والانفعالي، يبدأ الطفل في الوعي والإدراك بأن هناك شيئاً ما يفصل العالم المحيط عن ذاته التي لم يدركها إدراكاً كلياً، فيحدث تغيُّر في الشخصية بصفة عامة وبصفة خاصة في مفهوم الذات حيث يزداد الوعي بالذات والدقة في تقويم الذات وتمكّن الذات النامية القوية المراهق من أن يُؤَثِّر في بيئته وفي المواقف الاجتماعية.

«فالأنا» يوجد شيئاً فشيئاً لدى الطفل بواسطة الاستثارات الداخلية والخارجية التي يدركها. ويظل «الأنا» مرتبطاً فترة طويلة بفكرة الجسم الذاتي والنشاطات الحسية والحركية والحاجات الأولية ليتوصل في مرحلة لاحقة إلى عملية تكامل الإدراكات التي يجد لها نقاط ارتكاز بشكل يؤدي إلى فصلها عن مجموع تجاربه المختلفة. ففي هذه المرحلة من النمو تبدأ لدى الفرد حالة نفسانية من الاستقلالية الذاتية والفردانية التي لم تبلغ بعد مستوى الوعي الذاتي الحقيقي.

فالشكل الطبيعي الذي تتخذه المحاولات الأولية في تنظيم الإدراكات، هو الشكل الأنوي واكتشاف الهوية الذاتية يتطابق عند الطفل مع الشعور بأنه يملك السيطرة على العالم الخارجي [2].

---

(1) لمعرفة تفاصيل هذا المطلب، انظر: فرويد، أنّا، الأنا وأواليات الدفاع، م.س.

(2) معاليقي، عبد اللطيف، المراهقة أزمة هوية أم أزمة حضارة، م. س، ص 171.
- زهران، حامد عبد السلام، علم نفس النمو الطفولة والمراهقة، م. س، ص 429.
- يعقوب، غسّان وليلى، سيكولوجيا النمو عند المراهق، م. س، ج 1، ص 139-140.

وهذا الوعي يتأكد ويتوضح في المراهقة حيث يبحث المراهق في اكتساب تقدير الآخرين وإعجابهم، وخصوصاً اهتمامهم، فهو بحاجة إلى اعتراف الآخرين به لكي يعترف بذاته.

والوعي الذاتي لدى المراهق يتخذ وجهين: وعياً ذاتياً تجاه الآخر، ووعياً ذاتياً تجاه الذات. إن هذه الازدواجية تفسِّر إحساس المراهق والأهمية التي يعطيها لأفعاله وعلاقاته مع المحيط حيث يميل إلى الرغبة في إظهار الذات، سواء في اللباس أو في الجدل...

ففي اختيار الثياب يميل إلى التمايز والتفرد، غايته وقصده لفت النظر والإشارة إليه[1].

ويستمر نمو الذات ومفهوم الذات تجاه «مفهوم ناضج للذات» ويقرب المراهق من الراشد في سلوكه وفي اتجاهاته وقيمه وفي مفهومه الواضح عن ذاته، ويتابع مفهوم الذات نموه نتيجة للخبرات الجديدة مثل المهنة والزواج والأطفال[2].

الفرع الثاني: إثباتها وتحقيقها:

إن وظيفة تحقيق الذات وظيفة يمارسها الإنسان في شتى المراحل العمرية كل مرحلة بما يناسبها، وتجتمع كلها في مفهوم واحد هو أن المراهق يقوم بالوظائف الملائمة لقدراته واستعداداته ويمارس الأدوار المناسبة له والمتوقعة منه، وينتج عن ذلك الشعور بالقيمة والأهمية والإحساس بجدية الحياة وغاياتها أو ما يسمى تحقيق الذات[3].

فكلما أخذ المراهق في النمو، بدا على سلوكه الرغبة في تأكيد ذاته، فهو في نظر نفسه لم يعد بعد الطفل الذي لا يباح له أن يتكلم أو يسمع.

---

(1) سليم، مريم، علم نفس النمو، م.س، ص 417-418.
(2) زهران، حامد عبد السلام، علم نفس النمو الطفولة والمراهقة، م. س، ص 429.
(3) النغيمشي، عبد العزيز محمد، المراهقون دراسة نفسية إسلامية للآباء والمعلمين والدعاة، دار المسلم، الرياض، الطبعة الثانية، 1412هـ، ص 30.

إن المراهق في منتصف مرحلة المراهقة يسعى أن يكون له مركز بين جماعته، ولأجل أن تعترف تلك الجماعة بشخصيته فإنه يميل دائماً إلى القيام بأعمال تلفت النظر إليه، فهو تارة يلبس ملابس زاهية الألوان، كما يحاول التصنع في طريقة كلامه وضحكه ومشيته. . .

ومن المميزات في سلوك المراهق الرغبة في مقاومة السلطة، وهناك من الأسباب ما يدعو المراهق إلى الثورة ضد السلطة ممثلة في الأسرة والمدرسة والمجتمع العام. وتكون السلطة الوالدية واضحة. لأن المراهق يتشوق إلى أن يجد نفسه في عالم آخر خارج البيئة المنزلية عالم مليء بالأصدقاء والزملاء، عالم مليء باتجاهات جديدة وبالحرية والاستقلال والتحرر من التبعية الطفلية، وهو إذ يتطلع إلى كل ذلك يرى والديه ومدرسيه عقبة في سبيل تحقيق أمنيته[1].

ولا بدَّ من الإشارة إلى أن المراهق في فترة حماسه وتحفز «أناه» وتطوره يقع في مبالغة تقدير ذاته. وهو بقدر ما يعزل نفسه عن العالم الخارجي بالانطواء والعزلة بقدر ما تتسع الهوة بين «أناه» الحقيقي و«أناه» الممكن. ففي فترات الوحدة تزول كل علاقة أو اتصال بالآخر، ويتضخم لديه الشعور بالقوة والغلبة فيبدو للآخر أن هناك هوّة بين ما يرغب به الكائن وبين ما هو ممكن.

إن المراهق في بحثه عن ذاته بحاجة إلى سند خارجي لشعوره بصعوبات تشكل شخصيته الداخلية. فالسند العاطفي المتأتي من الأهل والأخوة والأصدقاء يبدو أنه عاجز عن مساعدته، لأن المراهق يخاف من استغلال الآخرين لهذا العنصر العاطفي في عملية ابتزازه.

وبقدر ما يقترب المراهق من مرحلة الرشد، بقدر ما يصبح مثاله هو ذاته، فهو يرغب في تحقيق الصفات المثالية بنفسه دون تقليد للآخرين.

وعدم التشبه بالآخرين هو تعبير عن الرغبة في عدم فقدان شخصيته.

---

(1) الزعبلاوي، محمد السيد محمد، تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، م. س، ص 175-176.

فالمثالية تشكل جانباً بارزاً مهماً في وعي المراهق لذاته. إنها الجانب الأخلاقي الذي يلعب دوراً بارزاً في أزمة المراهقة. خصوصاً في مرحلة التضخم والمبالغة في تقدير الذات. وتكون مثالية المراهق شديدة التطرّف تسير بحسب قانون «الكل أو لا شيء» وهي مظهر طبعي، تجسّد التعبير الأخلاقي عن توتراته ومعارضة الواقع.

وتحقيق الذات عند المراهق ينعكس مبالغة في حب الذات، اعتقاداً بأنه شخص مميَّز يمتلك قيمة فريدة[1].

ولا بدَّ هنا من البيان والتوضيح، أن الله ﷻ خلق النفس الإنسانية وسواها كما قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾[2] أي خلقها سويَّة مستقيمة على الفطرة القويمة ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[3] أي فأرشدها إلى فجورها وتقواها، أي بيَّن لها ذلك وهداها إلى ما قدَّر لها. قال ابن عباس: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ بيَّن لها الخير والشر. وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾[4] يحتمل أن يكون المعنى: قد أفلح من زكّى نفسه أي: بطاعة الله - كما قال قتادة - وطهَّرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ أي: أخملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى، حتى ركب المعاصي، وترك طاعة الله ﷻ . .[5].

فهذه الآيات تبين أن الله ﷻ أرشد النفس الإنسانية إلى طاعته ليطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل، لترضي الله وتحقق الفوز والفلاح.

(1) سليم، مريم، علم نفس النمو، م.س، ص 419-420.
- معاليقي، عبد اللطيف، المراهقة أزمة هوية أم أزمة حضارة، م.س، ص 174-176.
(2) سورة الشمس، الآية: 7.
(3) سورة الشمس، الآية: 8.
(4) سورة الشمس، الآيتان: 9-10.
(5) ابن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ، 2001م، ج 6، ص 468-469.

خلاصة الفصل

إنّ علماء النفس مختلفون ومضطربون في مرحلة المراهقة فمنهم من يعتبرها مشكلة وأزمة ويربطونها بالبلوغ، بمعنى أنهم يعتبرون المسألة الجنسية هي سبب أزمتها ومشاكلها وعلى رأس هؤلاء «فرويد» الذي يُرجع كل شيء في الحياة إلى المسألة الجنسية.

وإن كثيراً من علماء النفس يعتبرونها مرحلة عادية كبقية مراحل النمو، بل كثير منهم يذهب أبعد من ذلك حيث يعتبرها مرحلة العطاء والذكاء والتحصيل، وهي مرحلة النمو العقلي والثورة العقلية المعرفية وهي قمة التوازن في النمو الذهني والعقلي.

وهذا التوجه يتماشى مع روح الشريعة وجوهرها، حيث حرصت على تكريم الإنسان، وإشعاره بوجوده، وذلك بتكليفه بمجرد بلوغه.